(195) 1. لماذا كشف العذاب عن قوم يونس دون غيرهم؟ صريح قوله سبحانه: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاّ َ قَوْمَ يُونُسَ لَمّ َا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدّ ُنْيَا وَمَتّ َعْنَاهُمْ إِلَى حِين) (1). إنّ أُمّة يونس هي الا َ ُمّة الوحيدة التي نفعها إيمانها قبل نزول العذاب وكشف عنهم، وذلك لا َنّ "لولا" التحضيضية إذا دخلت على الفعل الماضي تفيد معنى النفي، كما في قولك: هلا قرأت القرآن، وعلى ذلك يكون معنى قوله سبحانه: (فلولا كانت قرية آمنت) انّه لم يكن ذلك أبداً، فاستقام الاستثناء بقوله: (إلاّ قوم يونس)، والمعنى هلا كانت قرية من هذه القرى التي جاءتهم رسلنا فكذبوهم آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها، لكن لم يكن شيء من ذلك إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي. ولا شك أنّه قد نفع إيمان قوم يونس ولكن لم ينفع إيمان فرعون، وعندئذ يُطرح هنا السو َال التالي: ما الفرق بين الاِيمانين؟ حيث نفع إيمانهم دون إيمان الثاني وأتباعه، يقول سبحانه: (وَجَاوَزْنَا بِبَنى إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتّ َى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرقُ قَالَ آمَنْتُ أَنّ َهُ لا إِلهَ إلاّ الّ َذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَآلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَاليَوْمَ نُنَجّ ِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنّ َ كَثِيراً مِنَ النّ َاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) (2) _____ 1 . يونس: 98. 2 . يونس: 90 ـ 92.